القصدية ودورها في تحقيق التماسك النصي في سورة الضُّحى

د. عبدالرحمن ربيع سيد محمد
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية دار علوم، جامعة القاهرة

Copyright©2022 Faculty of Al-Alsun | Ain Shams University | All right reserved

Intentionality and its role in achieving textual coherence in Surat Al-Duha

Abstract:

Intentionality is the most important criteria by which textual coherence is achieved because the speaker follows the appropriate speech strategy for his intent, and appropriate to convey the meaning .in this research, I tried to identify the concept of intentionality and the textual relations related to this concept related to the sender, receiver, and discourse.

I tried to use the concepts of intentionality in analyzing the religious text; Where I analyzed Surat Al-Duha from an intentionality view to determine the effect of intentionality in achieving textual coherence.

I reviewed comments of the scholars of interpretation and rhetoric to link modern concepts and the applications of the commentators, in order not to download the Qur'anic text with unintended concepts and analyzes, the importance of this research is due to it attempts to benefit from modern linguistic research methods in analyzing the Qur'anic text.

Keywords: textuality, deliberative, coherence, intent, concept

القصدية ودورها في تحقيق التماسك النصي في سورة الضُّحى

الملخص:

تُعدُّ القصدية أهم المعايير التي يتحقَّق من خلالها التماسُك النصِّي، وذلك لأنَّ المتكلم يتَّبع استراتيجية الخطاب المُلائمة لقصده، والمُناسبة لإيصال المعنى، ولذلك حاولتُ في هذا البحث الوقوف على مفهوم القصدية وما يتصل بهذا المفهوم من علاقات نصية تتصل بالمُرسِل والمُتلقي والخطاب، وحاولتُ الاستفادة من بعض المفاهيم الخاصة بالقصدية في تحليل النصِّ الديني؛ حيثُ قُمت بتحليل سورة الضُّحى من وجهة نظر قصدية وذلك للوقوف على أثر القصدية في تحقيق التماسُك النصِّي في هذه السورة، واطَّلعتُ على ما كتب علماءُ التفسير والبلاغة حول السورة للربط بين المفاهيم الحديثة وتطبيقات المُفسرين، ولكي لا أُحمّل النصَّ القرآني مفاهيمَ وتحليلات بعيدة غير مقصودة، وتعود أهمية هذا البحث إلى أنه يُحاول الاستفادة من مناهج البحث اللغوي الحديث في تحليل النصِّ القُرآني.

الكلمات المفتاحية: نصية، تداولية، تماسُك، قصد، مفهوم

القصدية ودورها في تحقيق التماسك النصي في سورة الضُّحى

المقدمة:

الحمدُ لله وحدَه والصلاةُ والسلامُ على مَنْ لا نبيَّ بعدَه، وبعدُ فإنَّ الأصلَ في الكلام القصدُ. والقصدُ في الكلام هو الذي يُورِّثُ استلزاماتِه الصبغة السياقية أو المقامية[1].

والقصدُ هو أساس عمليةُ التواصُل، فالإنسانُ حينَ يتكلَّم أو يكتُب فإنَّما يُحركُه القصدُ، وحينما يُدافع عن نفسِه أو يشكو إلى غيرِه فإنما يفعل ذلك عن قصد ووعي. ولذلك عُدَّت أفعال الكلام التي تصدُر عن غيرِ قصدٍ من صاحبِها أفعالٌ باطِلة من حيثُ ما يترتَّب عليها من أحكام شرعيةٍ.

ويُعدُّ التماسُك النصِّي من أسمى الأهداف التي تسعى القصدية إلى تحقيقِها، حيثُ يُراعي المُرسِل أن يفهَم المُخاطَبُ كلامَه بالطريقة التي يُريدُها؛ ومن ثمَّ يجتهدُ قدرَ طاقتِه في صياغة الكلام بالطريقَة التي يراها مُناسبةً لإيصال المَعنى، ويتَّبع استراتيجية الخطاب المُناسبة لتحقيق مقاصدِه.

ولذلك ركَّزتُ في هذا البحث على فكرة القصدية النصِّية من أجل تحديد المفهوم وما يتعلَّق به من تفريعاتٍ تتصل بصياغة النص والمُرسِل والمُخاطَب.

وأتبعتُ ذلك بدراسة تطبيقية لبيان أثر القصدية في التماسك النصِّي من خلال تحليل سورة الضُّحى، وحاولت الاستفادة من بعض المفاهيم والتصوُّرات المُتعلقة بالقصدية في دراسات المُحدثين أثناء تحليل السورة بما لا يُخالف كلام المُفسرين.

ولم يكُن هناك هدفٌ من اختيار **سورة الضُّحى** لتكون مجالا للتحليل إلا أنها سورة مكية **قصيرة اختُصَّ نزولُها بسيدنا مُحمَّد** – صلى الله عليه وسلَّم- فأحببتُ أن أنالَ بركَتها. بالإضافة إلى **وُضوح سبب نزولِها** ممَّا يُسهِّل معرفة القصْد من آياتها لارتباط ذلك بأسباب النزول. بالإضافة إلى وُضوح معانيها وأغراضِها.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تُسلِّطُ الضوء على القصدية، وهي واحدةٌ من المعايير النصية السبعة التي تتعلَّق بالمُرسِل وما يتعلَّق به من مُلابسات، وتتبع الدراسة المنهج الوصفي للوقوف على مفهوم القصدية في الدرس اللغويّ الحديث. وتبرُز أهمية البحث كذلك من خلال تحليل سورة الضُّحى من وجهة نظر قصدية- مما يعكس الاستفادة من النظر البحثي في المناهج الحديثة في تحليل النصوص القرآنية.

ومن الأهداف التي سعيتُ إلى تحقيقِها من خلال هذه الدراسة:

- التعرُّف على مفهوم واضح للقصدية النصية من خلال تعريفات العلماء والباحثين
- الوقوف على علاقة القصدية بالكمِّ النصي.
- البحث عن أفكار جديدة حول القصدية يُمكن الاستفادة منها في تحليل النصوص.
- بيان أوجُه الترابط والعلاقات النصية في سورة الضُّحى.

الدراسات السابقة:

١ دلال، وشن، ٢٠١٠، ***القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة***، المجلد (٣) العدد (٦)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

٢ مرزوقي، وسام، وفضيلة، قوتال، ٢٠١٩م، ***القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري***، مجلد (٨) عدد (١)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب.

وهي دراسات تختصُّ في مُجملِها بالطابَع النظري للقصدية في كلام العُلماء، وقد استفدتُ من الدراسات السابقة في فهم طبيعة القصدية والتنظير لها، وعُدت كذلك إلى بعض المصادر في علم اللغة الحديث، مثل دراسة أوستين وسيرل لأفعال الكلام وكلامِهما عن القصد وأثرِه في توجيه كلامِ المُرسِل، ومثل دراسة **عبد الهادي الشهري** عن: ***استراتيجيات الخطاب***، والذي تحدَّث في بعض أبوابه عن القصدِ وأثرِه في صياغة الكلام والأسلوب بشكل عام.

وهناك دراسات اهتمَّت بالجانب التطبيقي للقصدية، ومن أهمِّها:

١) يوسف، يوسفي، ٢٠١٤م، ***النظام اللغوي في القرآن الكريم مقاربة قصدية سورة الكهف أنموذجا***، رسالة دكتوراه، الجزائر، كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية.

٢) الموسوي، حكيم موحان عواد، ٢٠١٧م، ***القصدية في سورة التكاثُر***، عدد (٢١)، العراق، جامعة ذي قار، كلية الآداب، مجلة آداب ذي قار.

٣) عبد الرضا، سارة كاظم، ٢٠١٩م، ***مبدأ القصدية التداولي في خطاب آيات التوحيد في القرآن المجيد***، مجلد (٧)، العدد (٢٥)، الجزائر، جامعة ابن خلدون، مجلة فصل الخطاب.

وممَّا أضفتُه في هذا البحث الجمعُ بين كلام العلماء من أجل الوقوف على مفهوم واضح للقصدية وما يتعلَّق بها من أحكام فرعية تتعلَّق بدراسة النصِّ. وجاهدتُ في إنزال بعض التصوُّرات الخاصة بالقصدية على التحليل النصِّي لسورة الضُّحى.

وبناءً على ما سبق فقد ضمَّت الدراسةُ مقدمةً ومبحثين، كان المبحث الأول بمثابة التمهيد للمبحث الثاني:

المبحث الأول: مفهوم القصدية

المبحث الثاني: القصدية في سورة الضُّحى

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول. مفهوم القصدية:

يرى جون سيرل أنَّ القصدية «هي صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجُّه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها، فإذا كان هناك اعتقادٌ ما مثلا فإنه لابُدَّ أن يكون خاصًّا بهذا أو بذاك... وحين يكون لديَّ قصدٌ مُعيَّن يجب أن يكون قصدًا لفعل شيء ما»[٢].

فالقصدية من وجهة نظر سيرل مُرتبطة بحالات ذاتية وعقلية يتم من خلالها التوجُّه إلى العالم الخارجي؛ إذ من خصائص العقل أن يربط الذات بعالمِها الخارجي عن طريق اللغة والقصد[٣].

والقصدية أحد المعايير السبعة التي تُحقِّق النصِّية في الخطاب؛ حيث يرى **روبرت دي بوجراند** أن: «القصد يتضمن موقف مُنشئ النص من كونِ صورة ما من صور اللغة قصد بها أن يُكوِّنَ نصًّا يتمتع بالسبك والالتحام وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل مُتابعة خُطة مُعينة للوصول إلى غاية بعينها، وهذا من وِجهة نظر المذهب التقليدي الفلسفي»[٤].

وهي اعتقادُ المُنشئ أنَّ سلسلةً من الأحداث القولية التي يُنتجها يُمكن أن تُشكِّل نصًّا مسبوكًا...يكونُ أداةً لتحقيق مقاصد المُنشئ، كأن ينقل معرفةً أو يُحقِّق هدفًا جرى توصيفُه في إطار خُطَّةٍ موضوعةٍ[٥].

وتصفُ **إلهام أبو غزالة** القصدية النصية بأنها جميع الطُّرُق التي يتخذها مُنتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل مُتابعة مقاصدهم وتحقيقِها[٦].

ولستُ أوافقُ على كونِ القصدية النصّية استراتيجية أو طريقة لتحقيق الأهداف، وإنما هي الركيزة الفكرية التي يتولَّد عنها الطُّرُق والاستراتيجيات المُختلفة.

ويُشير **وسام مرزوقي** إلى أهم ما يُميِّزُ القصدية النصية، وهو الاستتار وراء النصِّ مما يحتاج الأمر مَعَها إلى استعمال الفكر وقدح الذهن لتبيُّنها واستقصائها «فالقصدية – كمصطلح نقدي مُعاصر- **تُشير إلى المعنَى المُضمر والكامن وراءَ نصٍّ من النصوص، فهيَ هدفُ مُنتج النصِّ غيرُ المُعلَن**»[٧].

ويُفرِّقُ العلماء والباحثون عادة بين نوعين من القصد بحسب المُراد منه[٨]:

النوع الأول: **القصد بوصفه الإرادة(النية)**: والمقصود بها ما تنطوي عليه النفس من نوايَا قد تتفق مع الخطاب أو تختلف معه. فتُصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا للفظ الخطاب أو النص؛ لأن الأعمال بالنيات. وهذا النوع من القصد هو الذي يحكم صحة أفعال الكلام التي تُنجز العقود وتُبرم الاتفاقات، فقد يكون المتكلمُ مُكرها أو مُضطرا أو غافلا أو كاذبًا...إلخ. مما يستلزِمُ عدم صحة العقد؛ «لأن الأمور بمقاصدها»[٩].

النوع الثاني: القصد بوصفه المعنَى: وهو المعنى المُستخلص من النصِّ بصرف النظر عن نية صاحبه، وليس المقصود بالمعنَى هنا دلالة النص أو دلالة أجزائه الحرفية، ولكنَّه المعنَى الذي ترتكز عليه العبارات والدلالات المختلفة في النصِّ. والتي تدلُّ بمجموعها على المقاصد التي يهدُف النصُّ إلى تحقيقها. وهذا يرتبط بدلالة العبارة عند الأصوليين وهي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقِه[١٠].

فالمتحدِّثُون يقصِدون دائما شيئا ما بعباراتِهم... وبالتالي يتم تفسير المعنى الذي يقصِده المتحدِّثون بأنه قابل للتحديد والتعريف في صور أكثر بدائية للقصدية[١١].

ويُرجع أوستين أهمية القصد بالنسبة للأفعال عموما إلى أنَّ كلَّ فعلٍ تمكنت التهمةُ فيه، وعيبَ قصدُه حُكم عليه بالفساد واعتُبِر باطلًا، لاغيا، عديم الأثرِ، وكأنه لم يكُن[١٢].

ويرى سيرل أنّ الإنسان حين يطلب من الناس القيام بفعل شيءٍ مُعيَّن فإنه يطلب من الناس القيام بأفعال قصدية، ولا يستطيع المرء أن يأمر الناس بفعل أشياء إلا إذا كان قاصدًا ذلك؛ إذا لا معنى للقول: آمرُك بفعل ذلك. ولا أكونُ قاصدًا هذا القولَ[١٣].

ويربط د/ طه عبد الرحمن بين الأفعال القصدية والمنفعة، فيؤكِّد أنَّ المجلى الأوَّل للفاعلية القصدية هو طلب المنفعة؛ إذ العقلُ لابدَّ له أن يقصِد، وإلا تعطَّل... فواجب العقلِ إذن أن تكونَ له مقاصدُ، وأن تكون هذه المقاصدُ هي عينَ مصالِحِه المُباشرة وغير المُباشرة[١٤].

والقصدية النصية هي لُبُّ عملية التواصُل وأساسُه «فلا وجودَ لأي تواصُلٍ عن طريق العلامات دُونَ وجود قصديةٍ وراءَ فعل التواصُل»[١٥].

ويستطيع السامع من خلال معرفة القصد فهم الدلالة الصحيحة من الكلمات والجُمَل داخل النصِّ اللغوي، «ويُعدُّ القصد أساسا في المُواضَعة داخل الجماعة اللغوية، فنجده ركيزةً أساسية سواء في وضع العلامات الطبيعية أو غيرها»[١٦].

دلالة المنطوق والقصد المفهوم:

ليست كلُّ المقاصد ملفوظةً في النصوص، بل كثيرًا ما يكون القصدُ مُستترًا وراء المعاني التي يُعبِّر عنها النص. والنصوص الأدبية هي أكثر ما يُعبِّر عن ذلك وخاصَّة الشعر.

ويؤكد د/ عبد الهادي الشهري أن المعنى الحرفي للغة لا يُمكن أن يكون هو معنى الخطاب الوحيد، وهذا أحد دواعي توسُّع الدراسات التداوُلية؛ فلم تقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب، أو عند إنجاز الفعل بشكله اللغوي المُباشر، كما ورد عند أوستين وسيرل في جانب من نظريَّتِهما، بل اهتمَّت الدراسات بالمعنَى التداوُلي، وكيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المُباشر، وهذا ما يُمثِّل إحدى استراتيجيات الخطاب لتعبير المُرسل عن قصده[١٧].

ولذلك يُمكن القولُ: إنَّ شكل الخطاب ليس كافيا للدلالة على قصد المُرسل في فعل لُغَويٍّ مُعيَّنٍ، وهذا يُؤسِّسُ لعلاقةٍ واضحةٍ بين شكل الخطاب والقصد، فرُبَّما طابق شكلُ الخطابِ قصدَ المُرسِل وربَّما لم يُطابِقْه[١٨].

ومن هنا عقد الجرجاني فصلا (في اللفظ يُطلق ويُراد به غيرُ ظاهره)[١٩]، وهو ما يتجلَّى في الاستعارة والكناية والمجاز.

ويُمكن فهمُ العلاقة بين دلالة اللفظ المنطوق وبين القصد المفهوم من خلال المثالين التاليين:

المثال الأول: سورة العصر:

قوله تعالى: (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)) العصر: ١-٣

دلالة المنطوق(المعنى): إعلام السامعين أنَّ جنس الإنسان في خُسران باستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

القصد المفهوم: تحفيز السامعين أن يكونوا في فئة الفائزين وتحذيرِهم أن يكونوا في عموم الفئة الخاسرة

المثال الثاني: قول الرجُل لزوجته: الجوُّ باردٌ.

دلالة المنطوق(المعنى): إعلام السامع ببرودة الجو.

القصد المفهوم: تتعدَّد مقاصد مثل هذه العبارة بحسب السياق، فتُصبح المقاصد الممكنة[٢٠]:

- أطلُب منك أن تُغلق النوافذ - أعطِني رداءً
- أُريدُ شرابًا دافئًا - أُريد أن أنام

القصد الرئيسي والقصد الثانوي:

يفرق الباحثون عادةً بين نوعين من القصد: القصد الرئيسي والقصد الثانوي؛ فالقصد الرئيسي يتضمَّن إيصال الرسالة أو الحُكم أو المعنَى إلى المتلقِّي. أمَّا القصد الثانوي فمعناه دفع المُتلقِّي إلى التأثُّر بمضمون الرسالة أو الحكم أو المعنَى[٢١]. وذلك بالتعبير عن قبوله أو رفضه أو تصديقِه أو تكذيبه أو العمل بمُقتضى الرسالة.

وهذا النوع من القصد هو ما يُسميه **أوستين** بلازم فعل الكلام؛ وذلك عندما يتوخَّى المُرسِل أن يؤثِّر بأفعال الكلام في مشاعر المُرسَل إليه وسلوكه، مثل إقناعِه أو إغضابه، أو تشجيعه، أو تهديدِه، أو تحذيرِه...إلخ[٢٢].

فالقصدُ الثَّانَوي يرتبط بشكل كبير بالمُرسل وقدرتِه على إيصال الرسالة بأسلوبٍ مُناسبٍ لطبيعة المُتلقِّي وطبيعة الموقف الذي تُقال فيه، وهل تمكَّنَ المُتلقِّي من فهم مضمون الرسالةِ والتأثُّرِ بها أو أنه في حاجة إلى مزيد بيان وتوضيح؟ وهل يكفي أسلوب التلميح أو لابُدَّ من التعبير المُباشر والتوجيهات الواضحة حتى يتأثَّر المُتلقِّي؟

القصد القبلي والقصد المُصاحِب:

يُفرِّق سيرل بين نوعين من القصد هما القصد القبلي والقصد المُصاحب، والصورة اللغوية للتعبير عن القصد القبلي: سوف أفعل. أو سأقوم بفعل كذا. ولكنَّ الصورة اللغوية للتعبير عن القصد المُصاحب: أقوم بفعل كذا. ونقول عن القصد القبلي: إن المُرسِل قد أنجز قصدَه وحاوَل تنفيذَه، ولا نستطيع قول ذلك عن المقاصد المُصاحبة[٢٣].

وكلام سيرَل عن مقاصد للأفعال عامَّة وليس خاصًّا بالقصدية النصَّية، ولذلك يُمكن القول إنَّ القصدية النصَّية يتحدَّد لها نوعان من القصد:

القصد القبلي: وهو السابق لعملية إنتاج الخطاب؛ حيثُ يستعدُّ المُرسل استعدادًا كافيًّا، كمن يتهيَّأ لإلقاء خُطبة دينية أو سياسية، أو من يستعدُّ لإلقاء كلمة في مؤتمر أو سيمنار علمي، أو من يستعدُّ للمرافعة أمام القاضي، أو من يتهيَّأ لكتابةِ قصَّة أو رواية أو نصٍّ شعريٍّ. كلُّ هذه الأعمال مُرتبطة بمقاصد قبلية، يتم الاستعداد والتهيؤ لها بشكل كافٍ.

القصد المُصاحب: وهو المُصاحب لإنتاج الخطاب، ولا يتم الاستعداد له بشكلٍ كافٍ، بل يكونُ الأمرُ مُفاجئًا، ويعتمِد على قدرة المُرسِل على التفكير السريع، ومثاله بعض الأسئلة المُحرجة التي يتعرَّض لها الساسةُ من صحفيين مُعارضين، فكثيرًا ما يكون الردُّ مُفاجِئًا ويحتاج إلى سرعة بديهة، ولا يكون القصد في مثل هذا سابقًا للخطاب، بل يكون مُصاحبًا له.

القصدُ والشَّبكة النصية:

يُشير **سيرل** إلى ما يُسمَّى **بالشَّبكة** الخادِمة للقصد الرئيسي الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقِه، وهي عِبارة عن شبكة من الحالات القصدية التي تُصاحب القصدَ الرئيس، والتي لا يُمكن أن يتحقَّق القصد بدونها. ويضرب مثالا على ذلك برغبة الرجل الترشُّح لرئاسة الولايات المُتحدة الأمريكية فإنه لا يستطيع الوصول إلى هذا القصد إلا من خلال المرور بشبكة من الحالات القصدية السابقة للترشُّح، والتي تُعدُّ شُروطًا مُسبقة لا يُمكن الترشُّح إلا من خلالها، فلابُدَّ أن يكون الشَّخص الذي يرغب في الترشُّح عُضوًا في أحد الحِزبين؛ الجمهوري أو الديمقراطي، ولابدَّ أن يحصُل على ترشيح أغلبية أعضاءُ الحزب، ولابد أن يكون الترشُّح في التوقيتِ المُعدِّ لذلك...[٢٤].

ويُمكن الاستفادة من مفهوم الشبكة عند سيرِل في تحليل النصوص الأدبية، وذلك بالبحث عن القصد الرئيس والحالات القصدية المُصاحبة له. وأُحِبُّ أن أوسِّعَ مفهوم الشَّبكة لتشمل كل الحالات **القصدية المُتصلة** بالقصد الرئيسي، سواءٌ كانتْ سابقةً أو مُصاحبةً أو ناتجة عن القصد الرئيسي أو واصفةً له؛ ومن ثمَّ سينشأ عن القصد الرئيسي مجموعةٌ من الروابط، منها ما يخدُم القصدَ ومنها ما يكون صفةً له ومنها ما يكونُ ناتجًا عنه.

ويُمكن إنزال هذا المفهوم للشبكة على دراسة النصُوص وتحليلها من وجهة نظر قصدية، وذلك بأن يتم تحديد القصد الرئيس أولا، وهو ما يُمثِّل بؤرة اهتمام المُرسِل، ثم يتحدَّد من خلاله **عناصر الشَّبكة النصية**، وهي هنا: العلاقاتِ الدلالية المُختلفة بين القصد الرئيسي من جهة وبين المجموعات النصية المُختلفة من جهة أخرى، تلك المجموعات النصية التي تخدُم القصد الرئيسي وتتصل به بسببٍ، وما كان لهذا القصد الرئيسي أنْ يتحقَّقَ على أكمل وجه إلا بعد أن يُحاطَ بهذه الهالة من العلاقات النصية المُختلفة.

كأنْ يُقال هذه المجموعة النصية تخدُم القصد الرئيس في كونِها مُؤكِّدةً له أو واصفةً له أو شرطًا لتحقُّقِه أو مُفسِّرةً له أو ناتجةً عنه أو تُمثِّل قصدًا ثانويًّا له. وسوف يتضح هذا المعنَى من خلال التطبيق على سورة الضُّحى في المبحث الثاني.

القصدية التوجُّهية:

يُشير بعض العلماء والباحثين إلى ضرورة توفُّر قصدين لدى المُرسِل، وهما: قصدُ التوجُّه إلى الغير، وقصد إفهام الغير، فمُقتضى القصد الأول أن المتكلم لا يكون مُتكلِّمًا حقًّا ما لم تتوفَّر لديه إرادة التوجُّه بكلامِه إلى الآخرين. أما القصد الثاني فمُقتضاه أن المنطوقَ به لا يكون كلامًا ما لم يُرد به المتكلمُ إفهامَ غيرِه[٢٥].

وأهمية القصدية التوجُّهية تعودُ إلى ضرورة التمييز بين الخطاب العام والخاص، وذلك حتى لا تلتبس الأحكام وتختلط المعاني. فرِّق مثلا في القرآن الكريم بين النصوص التي يتصدَّرها نداء: يا أيها الناس. وبين النصوص التي يتصدَّرها نداء: يا أيها الذين آمنوا. وبين النصوص التي يتصدَّرها نداء: يا أهل الكتاب.

حيثُ يتَّضح من هذه النداءات المُختلفة أهمية القصدية التوجُّهية في تعيين المُخاطَب المقصودِ بهذا الحُكم أو هذا المعنَى.

وتؤثِّر القصدية التوجُّهية في شكل الخطاب وأسلوبه وعناصرِه اللغوية؛ حيثُ يكون بين المُرسل والمُتلقي المقصود بالخطاب صعيدٌ مُشتركٌ من المعارف والمُعتقدات والتوقُّعات، والمتكلِّمُ يأخذُ بعين الاعتبار هذا المُشترك[٢٦].

والمتكلِّمُ يُخطِّطُ أوَّلا لِما يقولُه بناءً على ما يعرفُه هو، ثم يُعدِّلُ ذلك بناءً على الصعيد المُشترك بينه وبين السامع، فأنتَ مثلا قد تنوي أن تقول لصديقكِ: أعطِني القلمَ. لكنَّك تَعدِل عن ذلك فتقول: القلمَ. وهو يفهم ما تُريد؛ لأن بينكما قدرًا من التوقُّعات المُشتركة[٢٧].

ويُمكن تقسيم القصدية التوجّهية إلى **قصد أوَّلِي وقصد بعدِي**:

والقصدُ التوجُّهي الأوَّلي: هو القصدُ المنصبُّ على شخصٍ أو جماعة بعينها ابتداءً، ولكنَّه صالحٌ للعموم. فإذا ما خُوطِب به العموم صار **قصدًا توجُّهيًّا بعديًّا**: ومثال على ذلك لفظ (الأتقى) في الآيات: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا **الْأَتْقَى** (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)} **الليل: ١٤- ٢١.**

فـ (أبو بكر الصديق) – رضي الله عنه- هو المقصود **قصدًا أوَّليًّا** بكونِه(الأتقى) الذي يؤتي ماله يتزكَّى...إلخ. وكلُّ مُسلم يتصف بهذه الصفاتِ التي تصِف تقواه مقصودٌ **قصدًا بعديًّا**[٢٨].

وهُناك **القصدُ التوجُّهي المُمتَنِع عن غيرِه** كما في قوله تعالى على لسان سُليمان- عليه السلام: {اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} **النمل: ٢٨**. فالخطابُ هنا للهُدهُد، ولا يُمكن أن يُحملَ على غيرِ ذلك في الآية. أمَّا في غيرِ الآية فيُمكن أن يتمثَّل به شخصٌ آخر ويتوجَّه به إلى حيثُ شاء.

القصد والكم النصي:

ليس للنصِّ مِعيار كمِّي يُمكن الوقوف عليه، وذلك لأنَّ العبرة النصِّية ليست في كمية الكلمات والجمل والدلالات التي تُفهم من نصٍّ ما، ولكن في تلك الرسالة التي يُمكن أن تخرج بها من النصِّ. «فالنصِّ الذي يُساعد على التواصُل قد يطول أو يقصُر»[٢٩]، بحسب قصد المتكلم ورغبته في زيادة التوضيح أو التأكيد أو الإسهاب في المعنى، أو رغبته في الإيجاز وإيصال الرسالة بأقصر الطُّرق.

ويؤكد **د/ صلاح فضل** أنَّ الخاصية الأولى لتحديد النص هي اكتمال رسالتِه، وليس الطول أو الحجم المعيَّن، وينقلُ عن (هيلميسليف) أنَّه لا يوجَد بُعدٌ واضح لتحديد النصّ، فكلمة واحدة مثل(نار) يُمكن أن تكونَ في مُقابل عمل روائي ضخم مثلا. فكلٌّ منهما يُمكن اعتبارُه نصًّا، وذلك بفضل اكتماله واستقلاله... **ومعنى هذا أنَّ علينا أن نُضحيَ بفكرة الطُّول في سبيل الوصول للنص المُستدير المُكتمِل الذي يُحقِّقُ مقصدية قائله**[٣٠].

وبالنظر إلى أنواع النصوص المختلفة من حيثُ الكمِّ وعلاقته بالقصد يُمكن أن تتنوَّع العلاقة بين القصد والكمِّ إلى ثلاثة أنواع:

أولا. علاقة التوازي:

وأقصِد بها أنَّ النصَّ يؤدي المعنى المقصود إليه دون تزيُّد ولا نُقصان، فالعبارة النصيَّة هنا تكون أكثرَ مَيلا إلى الإيجاز وإيصال المعنَى بأقصر الطُّرُق، وهذه العلاقة أقربُ ما يكونُ إلى ما وصفَه البلاغيون **بالمُساواة** بين اللفظ والمعنَى[٣١]، وتظهر هذه العلاقة بوضوح في الحكم والأمثال والنصائح المُوجزة.

يُمكن أن تتضح علاقة التوازي بين القصد والنص من خلال النصوص التالية:

- إنَّ النصر مع الصبر
- إنَّ مع العُسر يُسرا
- إنَّ الله مع الصابرين

فالنصوص الثلاثة تتحرَّك نحو جهة قصدية واحدة، وهي **تحفيز المستمع إلى مزيد من الصبر**، وكلُّ نصٍّ من النصوص الثلاثة ينطوي على مُحفِّز خاص، فالنصُّ الأوَّل مُحفِّزُه أنَّ النصرَ حليفُ الصابرين وعاقبةٌ لصبرهم. أمَّا الثاني فإنَّ مُحفِّزَه وجود ألطاف تيسير وحلولٌ في معية الصابرين على البلاء. وأمَّا النصُّ الثالث فإنه يضع الصابرين في معية الله وكفى به مُحفِّزًا.

ثانيا. علاقة التزايُد أو الإطناب:

فالنصُّ يؤدي المعنى الذي يقصد إليه المتكلِّمُ ولكنه يزيد عليه فيستطرد من أجل التوضيح أو التعليل أو التأكيد أو التلذُّذ أو رغبة حصول الثواب. فالنصُّ هنا أكثرُ ميلًا إلى الإطنابِ والاستطراد. وبحسب رؤية سيرل كثيرًا ما تكون بعض جوانب (النصّ) شرطًا لتحقُّق المضمون

القصدي، ولا يكون البعضُ الآخرُ منها[٣٢]. ولكنَّه يكون زائدًا عن القصد. **والإطنابُ** في عُرف البلاغيين هو أداء المقصود بأكثر من عبارَةِ المُتعارَف[٣٣].

وهذه العلاقة أكثر ما تكون في الخُطب والمقامات الوعظية التي تميل إلى الاستطراد من أجل زيادة التنبيه وزيادة المؤثرات الوعظية. وتكون كذلك في الأعمال الروائية والمسرحية، وأضرب مثالا على تلك العلاقة بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «**وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ. قِيلَ: مَنْ يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»[٣٤].

القصد الرئيس: إفهام السامع أنَّ الذي يؤذي جارَه تنتفي عنه صفةُ كمال الإيمان.

والقصد الثانوي: تحذيرُ السامعِ من إيذاء الجار لكون ذلك سببًا مُوصِلا إلى نفي كمال الإيمان عنه.

كان يكفي عبارة واحدة لتأدية المعنى المقصود، ولكنّه كرَّر طلبًا لتوكيد المعنى وتنفير السامعين من الاتصاف بهذه الصفة.

ووسائل التزايُد قد تكون سابقةً على القصد أو تاليةً له، وذلك حسب المُراد منها، ومن **وسائل التزايُد السابقة:**

١) **التمهيد**: بغرض التشويق ولفت الانتباه نحو القصد، ويتحقَّق بوسائل الإغراء وأدوات الاستفتاح، مثل الحديث: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطأ إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة»[٣٥].

٢) **التوكيد**: بالقسم وبالمؤكِّدات التي لها الصدارة مثل (إنَّ – لام الابتداء)، ومن أوضحِ الأمثلة عليه سورة (الشمس) حيثُ وصل تعداد التوكيد بالقسم فيها إلى سبعة ألفاظٍ مُقسمٍ بها: (**وَالشَّمْسِ** وَضُحَاهَا **وَالْقَمَرِ** إِذَا تَلَاهَا **وَالنَّهَارِ** إِذَا جَلَّاهَا **وَاللَّيْلِ** إِذَا يَغْشَاهَا **وَالسَّمَاءِ** وَمَا بَنَاهَا **وَالْأَرْضِ** وَمَا طَحَاهَا **وَنَفْسٍ** وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) كلُّها تتجه نحو التأكيد على جواب القسم: **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسَّاها**. وهو القصد الذي يرتكز عليه النصُّ.

وسائل تزايُد لاحقة:

١) **التفسير والبيان والتوضيح**: لما أُشكِل من عباراتٍ وألفاظٍ، كما يحدُث أثناء سرد بعض المُصطلحات العلمية أو الألفاظ الغامضة والتي لا يفهمها المُتلقي. ولذلك صُنِعت الهوامش أسفلَ الكتب من أجل توضيح ما غمُض من ألفاظٍ وعباراتٍ.

٢) **التكرار اللفظي**: كما في عبارة (والله لا يؤمن) التي تكرَّرت في الحديث الشريف السابق ثلاث مرات. وكما في عبارة (ويل يومئذ للمكذبين) التي تكرَّرت في سورة المرسلات عشر مرات على مدار السورة، والتكرار هنا بغرض تأكيد التهديد[٣٦].

٣) **التكرار المعنوي**: كما في المقامة الوعظية التالية:

مقامة الزهد: «يا أبا القاسم ما لكَ لا ترفضُ هذهِ الفانيةَ رفضًا. ولا تنفضُ يديكَ عن طلبها نفضًا. ألمْ ترَ كيفَ أبغضَها الله وأبغضَها أنبياؤهُ. ومقتَها ومقتها أولياؤهُ. ولوْلا استيجابُها أن تكونَ مرفوضة لوزَنَت عندَ الله جناحَ بعوضةٍ. إن راقَكَ رُواؤها الجميلُ فما وراءهُ مشوَّهٌ، ما هَيَ إلا اسمٌ ذُعافٌ بالعسلِ مموَّه، منغّصةُ المسارّ لمْ تخلُ من أذى، مطروقةُ المشارب لم

تصفُ من قَذَى، معَ كلِّ استقامةٍ فيها اعوجاجْ، وفي كلِّ دَعةٍ منَ المشقّة مزاجْ، شهدُها مشفوعٌ بإبرِ النّحل، رُطبها مصحوبٌ بسلاء النّخل، أمامَ الظفرِ بغنيمتها الاصطلاءُ بنارِ الحرْب، قبلَ اعتناقِ سيفِها معانقةُ أبناءِ الطعنِ والضرْب»[٣٧].

والقصدُ من المقامة: الحثُّ على الزهد في الدنيا والتحذير من فتنتها. لكنه أدَّى هذا المعنى المقصود باستطرادٍ واضح وتكرار بيِّن في المعاني. وذلك لتنبيه الغافل والتأكيد على العاقل.

ثالثًا. **علاقة التناقُص**: وهنا لا يؤدّي النصُّ القصدَ منه كاملا، بل تُحذف بعضُ عناصرِه من أجل التشويق أو الإغراء بشيءٍ ما، وتظهر هذه العلاقة في عناوين الأخبار أحيانا، وفي أسلوب الدعايا والإعلان.

لاحظ العناوين التالية:

- إعلان القوائم النهائية لجوائز الأفضل في أفريقيا: **RT Arabic (١١/ ٧/ ٢٠٢٢)**
- الأطول في العالم... مصر تبدأ حملة تنظيف نهر النيل: **سكاي نيوز عربية (٨/ ٧/ ٢٠٢٢)**

فليس واضحًا من العنوان الأوَّل في أيِّ شيء تكون الأفضلية، ولا يظهر هذا إلا بعد قراءة المقال الذي يتحدَّث عن أفضل لاعب ولاعبة في إفريقيا.

والعنوان الثاني يُشير إلى: الأطول في العالم. وليس واضحًا ما المقصود بالأطول في العنوان خاصَّةً مع وجود نهر النيل في بقية العنوان، وبعد قراءة المقال يتضح أنَّ حملة التنظيف هي الأطول من وجهة نظرهم.

وهكذا تهتم العناوين بعناصر التشويق والجذب لقراءة المقال مما قد يؤدي معه إلى حذف عناصر مُهمة في بيان المقصود.

ويختلِف التناقُص المقصودُ هنا عن الإيجاز في عُرف البلاغيين، **فالإيجازُ** هو أداء المقصود بأقلّ مِنْ عبارةِ المُتعارَف[٣٨]. مع اشتراط أن يفيَ اللفظُ بالمعنَى المقصود[٣٩]. والأمثلة التي ذكرها البلاغيون في الإيجاز خيرُ شاهدٍ على ذلك.

ولذلك يُمكن إلحاق الإيجاز بالمُساواة لكونِها أكثر تعبيرًا عن المعنى المقصود دون نقصٍ أو زيادة.

المبحث الثاني. القصدية في سورة الضُّحى

أحاوِل هنا أن أُقدِّم صورةً تحليلية لأثر قصد المُتكلم في الأسلوب والتماسك النصِّي من خلال سورة الضُّحى، وذلك لأنَّ القصدية لها علاقة بأسلوب الخطاب وما يقتضيه من مُراعاة مكانةِ المُرسِل والمُرسَل إليه، وطبيعة العلاقة بينهما، ومقام الخطاب أثناءَ صُدورِه؛ هل هو مقام زجرٍ أو تحفيزٍ وتشويقٍ أو إيثارٍ أو مُلاطَفة أو توجيه أو استعلاء أو سيطرة...إلخ؟

ولذلك يُشيرُ **د/ عبد الهادي الشهري** إلى أنَّ مُرسِل الخطاب يُراعي في خطابِه منزلتَه ومَنزلةَ المُرسَل إليه، فيختار ما يتناسب مع ذلك عند إعداد خطابه بما يقتضيه موقِعُه الاجتماعيُّ أو الوظيفيُّ، كما يتوخَّى اختيار ما يتناسبُ مع السياق العام، فخطاب التاجرِ مع زَبُونِه يختلف حتما عن خطاب تاجرٍ آخرَ مع مثلِه، كما يختلف خطاب ملكٍ مع أحدِ رعاياه عن خطابِه مع ملك آخر من أندادِه.

كما أنَّ مقاصِدَه وأهدافَه تتنوَّع بتنوُّع بعض العناصر السياقية، مما يفرضُ عليه أُطُرًا مُعيَّنةً لابدَّ أن يستجيب لها، فإن كان هدفُه الإقناعَ فإنه يختار من الأدواتِ اللغوية والآليات الخِطابية ما يُبلِّغُه مُرادَه، وإن كان هدفُه السيطرة فإنه يعمِد إلى الأدوات اللغوية التي تكفُل تحقيقَها[٤٠].

وقد حاولتُ جاهدًا الاستفادة من النظر اللغوي الحديث في تحليل سورة الضُّحى من وجهة نظر قصدية مُراعيًا المعاني الواردة في كُتُب التفسير قدر الإمكان حتى لا تُحمَّل السورةُ معانيَ لا تحتمِلُها، وإنما أسيرُ في ضوء كلام علماء التفسير.

وقد اعتمدتُ في تحليلي للسورة على ثلاثة من أمَّات كُتُب التفسير ومن أحسنِها في تناوُل الجوانب البلاغية، وهي:

١) الزمخشري، الكشَّاف
٢) الرازي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب
٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير

القصد العام من السورة:

لابدَّ من البحث في أسباب نزول السورة لمعرفة المقاصد العامة التي تهدُف السورة إلى تحقيقها؛ حيث ثَبَتَ فِي صحيح البخاريّ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: احْتَبَسَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ فَنَزَلَتْ: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[٤١].

وبناءً على ذلك يرى الزمخشري أنَّ السورة نزلت لتحقِّقَ المقاصد التالية:

- مواصلةَ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالوحي، مما يؤكد تكذيب المُشركين.
- إثباتَ حبُّ الله لنبيه- صلى الله عليه وسلم- وتقديرِه العظيم له.
- التأكيد على عِظَم مكانة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في الدنيا وأنَّ مكانتَه في الآخرة أعظم من ذلك وأجلّ.
- تقديم البُشرى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- ولأمَّتِه بالعطاء الذي لا ينقطع حتى يتحقَّق الرضا التام له- صلى الله عليه وسلم[٤٢].

وأضاف الرازي قصدًا آخرَ، وهو:

- طمأنة رسول الله على عدم انقطاع الوحي، وعلى عدم اقتراب أجلِه[٤٣].

وزاد الطاهر بن عاشور على ذلك ما يلي:

١) أنَّ الله ذكَّرَه بما حَفَّهُ بِهِ مِنْ أَلْطَافِهِ وعِنَايَتِهِ في صِباهُ وفي شبابِه وفتُوَّتِه وفي وقت اكتِهالِه.
٢) أنَّ الله أمره بشكر تلك النِّعَم بِما يُناسِبُها من الإنعام على عبيدِه والتذكير بنعمِه[٤٤].

يُفهم من المقاصد التي ذكرها المفسِّرونَ أنَّ السورة نزلتْ لطمأنة رسول الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على مواصلة نزول الوحي، وللتأكيد على علوِّ شأنه ورِفعةِ مكانته عند الله؛ ومن ثمَّ استحقَّ وصف المقام الذي نزلت على إثرِه السورةُ بمقام المُوادَعة والمُلاطَفة.

وهذا المقام بانَ أثرُه على استراتيجية الخطاب في السورة من أوَّلِها حتى نهايتها، حيثُ راعَى المولَى عزَّ وجلَّ مُخاطبةَ رسولِه بما يُدخِل السرور على قلبه ويُطمئِنُ نفسَه، ويكفي أنَّ بعض المُفسرين لقَّبها بسورة مُحمَّد لشدَّة اختصاصها به صلى الله عليه وسلم[٤٥].

القصد المفهوم من انقطاع الوحي:

يلفتُ ابنُ عاشور الأنظارَ إلى القصدِ المفهوم من انقطاع الوحي والذي لم تنصَّ عليه الآيات، ولكنَّه يُفهم من مجموع الأحداث، حيثُ يرى أنَّ احْتِبَاسَ الْوَحْيِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَ لِمُدَّةِ نَحْوِ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَأَنَّهُ مَا كَانَ إِلَّا لِلرِّفْقِ بِالنَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كي تسْتَجِمَّ نفسُه وَتَعْتادَ قُوَّتُه تحمُّلَ أَعْبَاءِ الْوَحْيِ؛ إِذْ كَانَتِ الْفَتْرَةُ الْأُولَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا قبل نزول سورة المدثر، ثُمَّ كَانَتِ الثَّانِيَةُ اثْنَى عَشَرَ يَوْمًا أَوْ نَحْوَهَا قبل نزول سورة الضُّحى، فَيَكُونُ نُزُولُ سُورَةِ الضُّحَى هُوَ النُّزُولَ الثَّالِثَ، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ يَحْصُلُ الِارْتِيَاضُ فِي الْأُمُورِ الشَّاقَّة[٤٦].

القصد الرئيسي وشبكة العلاقات النصية:

يُمكن تقسيم السورة إلى أربع مجموعات مُتتالية للتعرُّف على العلاقات النصية التي تربط بين القصد الرئيس وبين المجموعات الأخرى.

المجموعة الأولى: مُؤكِّدات القصد الرئيسي

١) القسمُ بالضُّحى ٢) القسمُ بالليل

المجموعة الثانية: القصد الرئيسي

١) ما ودَّعكَ ربُّك وما قَلَى – ٢) الآخرة خيرٌ لك من الأولى – ٣) سوف يُعطيك ربُّك فترضى

المجموعة الثالثة: الدلائل على تحقُّق القصد الرئيسي

١) ألم يجدك يتيما فآوى – ٢) ووجدك ضالا فهدى – ٣) ووجدك عائلا فأغنى

المجموعة الرابعة: (القصد الثانوي) = النتيجة من القصد الرئيسي والدلائل

١) فأمَّا اليتيم فلا تقهر – ٢) وأما السائل فلا تنهر – ٣) وأما بنعمة ربك فحدِّث

القصدية التوجُّهية:

هذه السورة نزلتْ من أجل رسول الله ابتداءً وانتهاءً، ولا يُمكن أنْ يُقصدَ بها أحدٌ قبلَه أو بعدَه، باستثناء المجموعة الأخيرة التي يُمكن أن يكونَ التوجُّه الأوَّلي فيها لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- ثم يكون التوجُّه البعدي عامًّا في أمَّتِه.

القصد الرئيسي:

أبدأ بالمجموعة الثانية فإنها تُمثِّل بؤرة الاهتمام وحلقة الوصل بين بقية المجموعات؛ حيثُ تتصل كلُّ المجموعات الأخرى بها بعلاقةٍ دلالية، **فالمجموعة الثانية** تُمثِّل القصد الرئيسي الذي حرصت السورة على بيانه بأقصر الطُّرق وأوضحها وأكثرِها مُباشرةً دون تلميح أو إيماءٍ أو استخدامٍ للمجاز، بل اتبعت السورة أقصَى درجات المُباشَرة لبيان الحقائق التالية:

١) ما ودَّعَك ربُّكَ وما قَلى
٢) الآخرةُ خيرٌ لك من الأولى
٣) سوف يُعطيك ربُّك فترضى

وقد استعمَل كذلك أسلوب الخطاب المُباشر لشخص النبي – صلى الله عليه وسلم من خلال كاف الخطاب في (ودعكَ – لك – يُعطيك – ربُّك)، ومن خلال الضمير المُستتر(ترضى)، وهذه الاستراتيجية هي أنسبُ الطُّرق للخطاب هنا؛ فهناك مَزاعِمُ للمشركين أقلَقتْ رسولَ الله فَخشِيَ على نفسِه دُنوَّ أجَلِه وخشِي على الوحي أن يكون قد انقطع. فناسبَ أن يتبعَ الخطابُ أكثرَ درجات الوُضوح؛ حتى يطمئنَّ رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- وتهدأ نفسُه، وحتى لا تُتركَ للمشركين

فُرصةٌ لصرف اللفظ عن معناه أو تأويلِه بما يُوافِق هواهُم ومزَاعِمَهم أو صرف الخطاب لشخص آخر غيرِ شخص الرسول- عليه الصلاة والسلام.

وناسب كذلك تصدير السورة **بالمجموعة الأولى** التي تخدُم القصد الرئيسي من خلال التأكيدات الصريحة بالقسم **بالضُّحى والليل إذا سجَى**، مما يجعل رسولَ الله في حيِّز الاهتمام، فتسمو نفسُه ويرهفُ سمعُه ويطمئنُّ قلبُه. فكأنَّه قال بهذا القسم: **لأجلِكَ أقسَمْنا**. وما كان لنا حاجةٌ للقسم[٤٧].

وهَبْ أنَّ السورة بدأت **بالمجموعة الثانية** ولم يكن ثمَّة قسمٌ، فمن أينَ يأتي الاهتمام بما يردُ من جواب القسم، وكلُّه تزكيةٌ لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإعلاءٌ لشأنِه؟[٤٨]

أمَّا **المجموعة الثالثة** فإنها دليل على صِدقِ تحقُّق المعاني والوُعود في المجموعة الثانية، حيثُ استدلَّ المولى عز وجلَّ بما تحقَّق من إنعام وإكرامٍ لرسول الله في طُفولتِه وشبابِه (صلى الله عليه وسلَّم) – على ما وعدَ به من تفضُّل وإنعام في مُستقبل أيَّامِه، وعلى فوزه العظيم في الآخرة.

يقول الزمخشري عن الآيات الثلاث في **المجموعة الثانية**: «عدّد عليه نعمَه وأياديَه، وأنه لم يخله متها من ابتداءِ تنشئَتِه، ترشيحا لما أراد به، **ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه، لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة**، ولا يضيق صدره ولا يقل صبره»[٤٩].

أمَّا الآيات في المجموعة الرابعة فإنها تتشابَك مع المجموعتين الثانية والثالثة من حيثُ كونها قصدًا ثانويًّا لكلٍّ منهما؛ فقد ساقَ الله الآيات الثلاثة الأخيرة مساق الحثِّ على شُكر النِّعمة التي تفضَّل بها على نبيِّه والتي نصَّ عليها في آيات المجموعتين الثالثة والرابعة.

يقول ابن عاشور: «وتقدِيرُ نظمِ الكلام: إذْ كُنْتَ تَعْلَمُ ذلك وأقررتَ به فعليكَ بشكر ربِّك، وبيَّنَ له الشكر بقوله: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ إِلَخْ»[٥٠].

ومن ثمَّ يتضح أنَّ شبكة العلاقات النصية تتركَّزُ في القصد الرئيسي الذي يُشكِّل قلب السورةِ وهو مُتمثِّل في المجموعة الثانية، ويتصل هذا القصد ببقية المجموعات بعلاقات دلالية مُختلفة، فالمجموعة الأولى تُبرزُ الاهتمام بأمرِه والتأكيد على أهميته، والمجموعة الثالثة تُعدُّ دليلا على صحَّةِ وقوعِه وصِدقِ تحقُّقِه، والمجموعة الرابعة تُمثِّل الأثر الذي ينبغي أن يتركَه على المُخاطَب به؛ حيثُ تنتقل به من دائرة الإخبار إلى دائرة التوجيه والعَمَل.

علاقة اللفِّ والنشر بين المجموعة الثالثة والرابعة[٥١]:

ألمَحَ الزمخشري إلى وجود علاقة لفٍّ ونشرٍ **غيرِ مُرتَّبٍ** بين المجموعتين الثالثة والرابعة؛ حيثُ قُوبِلتْ النِّعَم الثلاث بثلاثة أعمال تُقابِلُها على طريقة اللف والنشر[٥٢].

أمَّا ابنُ عاشور فإنَّه صرَّح بجواز تحقُّق اللفِّ والنشرِ **بطريقة مُرتَّبةٍ** بين المجموعتين.

فَقَوْلُهُ: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى، أَي: فَكَمَا آوَاكَ رَبُّكَ وَحَفِظَكَ مِنْ عَوَارِضِ النَّقْصِ الْمُعْتَادِ لِلْيُتْمِ، فَكُنْ أَنْتَ مُكْرِمًا لِلْأَيْتَامِ رَفِيقًا بِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ مُقَابِلُ قَوْلِهِ: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى لِأَن الضلال يَسْتَعْدِي السُّؤَالَ عَنِ الطَّرِيقِ، فَالضَّالُّ مُعْتَبر من نصف السَّائِلِينَ. وَالسَّائِلُ عَنِ الطَّرِيقِ قَدْ يَتَعَرَّضُ لِحَمَاقَةِ الْمَسْئُولِ.

وَقَوْلُهُ: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ مُقَابِلُ قَوْلِهِ: وَوَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى. فَإِنَّ الْإِغْنَاءَ نِعْمَةٌ فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْحَدِيثِ عَنْهَا وَإِعْلَانِ شُكْرِهَا[٥٣].

مقام المُلاطَفة:

يتساءل **الرازي** أثناء تفسيره لقوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى): كَيْفَ يَحْسُنُ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْظَمِ الْخَلْقِ قُرْبَةً عِنْدَهُ: إِنِّي لَا أُبْغِضُكَ تَشْرِيفًا لَكَ؟

الْجَوَابُ: أَنَّ ذَلِكَ لَا يَحْسُنُ ابْتِدَاءً، لَكِنَّ الْأَعْدَاءَ إِذَا أَلْقَوْا فِي الْأَلْسِنَةِ أَنَّ السُّلْطَانَ يُبْغِضُهُ، ثُمَّ تَأَسَّفَ ذَلِكَ الْمُقَرَّبُ فَلَا لَفْظَ أَقْرَبُ إِلَى تَشْرِيفِهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ لَهُ: إِنِّي لَا أُبْغِضُكَ وَلَا أَدَعُكَ، وَسَوْفَ تَرَى مَنْزِلَتَكَ عِنْدِي[٥٤].

وهذا السؤال من **الرازي** يكشفُ مدى التفاتِه إلى استراتيجية الخطاب المُناسبة بين السُّلطان والعبدِ عامَّة، وبينَه وبين العبد المقرَّب خاصَّةً، وهو ما يتعلَّق بِسُلطة المُرسِل. والاعتداد بالسُّلطة وأثرها في الأسلوب والتركيب وقوة الدلالة من موضوعات التداولية[٥٥].

حيث يفترض **الرازي** أنَّه لا يُناسب في الحديث المُعتاد أن يقول السُّلطان لعبدِه حتى لو كان مُقرَّبًا: إنِّي أُحبُّك وإني لا أدَعُكَ وإنَّ لك عندي منزلةً عظيمة؛ وذلك مُراعاةً لمقام السُّلطان ودرجة العبد، ولكنَّ المُناسب في ذلك أن يستخدم استراتيجية التلميح كأن يقول: أنت لا تعرف كم قدرُك عندي؟ أو يقول: هذا العبدُ له عندي مكانةٌ لا تعرفُونها ولا تقدرون على الوصول إليها.

وهذا الأسلوبُ بشكل عامٍّ هو المناسبُ بين السُّلطان والعبد المقرَّب لديه. فكيف كان الأسلوب القرآني في سورة الضُّحى بين المولى- عز وجلَّ- وبين عبدِه المُقرَّب عليه أفضل الصلاة والسلام.

خالفَ الأسلوبُ القرآنيُّ المُتبَّعَ هُنا واستخدم استراتيجية الخطاب المُباشر من المولى عز وجلَّ لعبدِه المقرَّب مُحمدٍ- عليه أفضل الصلاة والسلام- ليس هذا فحسبْ، فصرَّح المولَى عز وجلَّ بحبِّه لعبدِه وعدم هجره له، ووعدَه بما يليق بمكانته في الدنيا والآخرة من الخير والثواب العظيم.

بل زاد عليه اهتماما بأمرِ المُخاطب القسمَ في مطلع السورة. وهذا – بحسب رؤية **الرازي**- لأنَّ التشكيك قد وقع من المُشركين وظهرَ على ألسنتهم حتى كأنَّه قد وقع في قلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أسفٌ لهذا الأمر. فناسب مُخاطبة المولى- عز وجلَّ- لعبدِه المقرَّب بهذا الوضوح والبيان لمكانتِه وعظيم قدرِه، حتى يدحضَ مزاعمَ المُشركين، وحتى يُطمئنَ قلبَ رسول الله.

ويُمكن وصفُ مقام الخطاب في هذه السورة **بمقام المُلاطَفة والمُوادَعة**؛ حيثُ تخلَّى المولَى -عزَّ وجل- عن كلِّ العَناصِر اللغوية المُشعرة بالسُّلطة، واستخدم كلَّ الوسائل المُمكنة المُشعِرة بالقُرب، فلم يكُن هناكَ حاجةٌ إلى **نون العظمة**، والتي نجِدها في مواطنَ أُخرى لم يكُن الهدفُ فيها المُلاطفة، مثل: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) **الكوثر: ١**، ومثل: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) **الحجر: ٩٥** وحلَّ محلَّها لفظ(**ربُّكَ**) الذي تكرَّر في السورة ثلاث مرَّات:

(ما ودَّعَك **ربُّكَ** وما قلى – ولسوف يُعطيك **ربُّك** فترضى– وأما بنعمة **ربِّكَ** فحدث)

وقد التفتَ ابنُ عاشور ولفت الأنباه إلى دلالة اللُّطف والرفق في استخدام هذه اللفظة دون غيرِها؛ «فتعريفُ (**رَبِّكَ**) بالإضافةِ دون اسمِ اللهِ العلمِ لِمَا يُؤذِنُ به لفظُ (رَبّ) مِن الرَّأفةِ واللُّطفِ، ولِلتوسُّلِ إلَى إضَافَتِهِ إلَى ضَمِيرِ المُخاطَبِ لِمَا في ذلِك منَ الإشْعَارِ بِعِنَايَتِه بِرسوله وتشرِيفه بإضافةِ (رَبّ) إلَى ضميرِه»[٥٦].

وتتضح كذلك المُلاطَفة والمُوادَعة من خلال إظهار **ضمير المُخاطَب** إحدَى عشرة مرةً في السورة (ما ودَّعكَ – ربُّكَ – لك – يُعطيك – ربُّك – فترضى – يجدك – ووجدك – لا تقهر – لا تنهر - حدِّث) وحذفِه أربع مرَّات (قلاك - فآواك – فهداك – فأغناك) لوجود ما يدلُّ عليه[٥٧].

وليست الميزةُ في التعبير بضمير المُخاطَب المُشعِر بالقرب فحسبْ، بل في اتصال الضمير بما يُشعر **بالطُّمأنينة:**

- كما في قوله: (**ما ودَّعَكَ ربُّكَ وما قَلى**) يقول **الرازي**: «كأنه تعالى يَقُولُ لَا أُوَدِّعُكَ وَلَا أَبْغُضُكَ بَلْ لَا أَغْضَبُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ وَأَتْبَاعِكَ وَأَشْيَاعِكَ **طلبا لمرضاتك وتطييبا لقلبك**»[٥٨].
- وكما في قوله (**وَمَا قَلَى**): حيث جاء نفي البُغضِ بعد نفي التَّركِ؛ لأنه كما يقول **البقاعي**: «ربما تعنت مُتعنِّت فقال: ما تركه ولكنه لا يُحِبُّهُ، فكم من مُواصلٍ وليسَ بواصلٍ، فقال نافياً لكلِّ تركٍ: (وما قلى) أي وما أبغضكَ بغضًا ما»[٥٩].
- وكما في قوله: (**وللآخرة خير لَك من الأولى**) فقد ذكر **الرازي** أنَّ انقطاع الوحي متَى حصَل دلَّ على الموتَ، فكأنَّه قد وقع في نفسه- صلى الله عليه وسلم- توجُّسًا وخيفةً أن يكون أجلُه قد اقترب، ولذلك جاءت هذه الآية تُضع في قرارة نفسِه أنَّ ما بعدَ الموتِ خيرٌ له، فإذا كان حصل له في الدنيا تشريف وتزكية فإنَّ ما عند الله في الآخرةِ خيرٌ له وأكرمُ[٦٠].

  والتعبير بلام الاختصاص في قوله(لَكَ) يُفيدُ أنَّ هذا الخيرَ مُختصٌّ بك يا مُحمَّد، وهو شاملٌ لكل ما له تعلُّق بنفسك في ذاتكَ ودينِكَ وأمَّتِك[٦١].
- وكما في قوله: (**ولسوف يُعطيك ربُّك فترضى**)، فهذا عطاءٌ لا ينقَطِع بانقطاع الرِّضا، ولكنَّه رضًا مُتجدِّدٌ بتجدُّد العطاء، لأنَّه ينصب الفعل بعد الفاء (ترضى) فيجعلُه مُعلَّقا بالعطاء وسببًا له، بل جعل الرِّضا معطوفًا على العطاء، مما يُفيد تجدُّد العطاء وتجدُّد الرِّضا، واختار العطف بالفاء لإفادةِ كون العطاء عاجل النفعِ بحيثُ يحصُل به الرَّضا للمُعطَى له عند العطاء دونَ تربُّص أو تمهُّل[٦٢]. ويتصوَّر الرازي أنَّ هذا العطاء قد بلغ غاية ما يتمنَّاه الرسول- صلى الله عليه وسلم- ويرتضيه لنفسه ولأمته[٦٣].

وفي القصد الثانوي في المجموعة الأخيرة توجيهٌ لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- لشكر النِّعم بما يُناسبُها من الأعمال وقد رُوعِي في هذه التوجيهات أن تُساق بطريقةٍ مُناسبةٍ للمَقام؛ بحيث لا يشعر معها الرسول الكريم بالإلزام.

فأما اليتيم فلا تقهر – وأمَّا السائل فلا تنهر – وأما بنعمة ربِّكَ فحدِّث

فكيفَ لو ابتُدِئَتْ السورةُ بهذه التوجيهات ثم قال بعدها: ألم يجدك يتيما فآوى ...إلخ؟ وكيف لو كانت بصيغة أخرى، مثلَ: لا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل وحدث بنعمة ربك؟ فلن يكون هناك مُراعاةٌ للرفق برسول الله- صلى الله عليه وسلم- وسوف يشعر معها بالإلزام بشكر هذه النعم، ولذلك يُؤوِّل الطَّاهر بن عاشور توجيهات الشُّكر هنا على تقدير: **إذا أردت الشُّكرَ**؛ لأنَّ شكر النعمة تنساقُ إليه النُّفوس بدافع المُروءَة في عُرف الناس. وصدَّر الكلام بـ(أمَّا) التفصيلية لأنَّه تفصيل لمُجمل الشكر على النعمة[٦٤].

هكذا تُختَم السورة بهذه الوصايا التي رُوعيَ فيها الرِّفقُ وعدَمُ الإلزام، وهي تُمثِّل القصدَ الثانَوي للسورة؛ لأنها تحمِلُ المخاطَب على التوجُّه نحو شكر النِّعَم. **والقصد الثانوي** معناه دفعُ المُتلقِّي إلى التأثُّر بمضمون الرسالة أو الحكم أو المعنَى[٦٥].

والسورةُ رَغم صِغَر حجمِها وقلة عدد آياتِها إلا أنَّها نصٌّ مُحكَم يُحقِّق القصدَ الرئيسيَّ منه، ويصلُ بين القصدِ الرئيسي والمقاصدِ الأُخرى شبكةٌ من العلاقات الدلالية يتحقَّق من خلالها التماسُك النصيّ، ويُراعي كذلك مقام المُلاطَفة برسول الله- صلى الله عليه وسلم.

وهكذا يتبيَّن من خلال تحليل سورة الضُّحى أنَّ القصدية كان لها دور كبير في تحقيق التماسك النصِّي وإيصال المعنَى إلى المُخاطب من خلال الوسائل والروابط اللغوية المنُاسبة.

الخاتمة:

- هناك بعض المفاهيم المُتصلة بالقصد في دراسات المُحدثين يُمكن الاستفادة منها في تحليل النصوص، مثل مفهوم الشبكة والخلفية عند سيرل. ومثل التفرقة بين نوعي القصد الرئيسي والثانَوي.
- يُمكن أن يُضيفَ الباحثون للدراسات اللسانية أبحاثًا أكثرَ عُمقًا حول **طبيعة العلاقة بين القصدية النصِّية ودلالة الألفاظ عند الأصوليين**، وهل هي علاقةُ اتِّفاقٍ أو تداخُل أو تنافُر؟ وما مدى تداخُلها أو تنافُرها؟ وما أسباب التداخُل أو التنافُر؟
- قدَّمَ الرازي في تفسيرِه الكبير للقرآن الكريم - بعضَ الملامِح حول استراتيجية الخطاب المُلائمة للمقام، وحول عدول المقام عن طريقة الخطاب المُناسبة، ولديه تساؤلات عديدة وتفسيرات لمقاصد المُتكلم من الألفاظ والعبارات. مما يصلُح معه أن يكونَ مجالا لدراسات تطبيقة متنوعة في ضوء اللسانيات الحديثة.
- يُفهم من تفسير الزمخشري والطاهر بن عاشور لسورة الضُّحى وجودُ علاقة اللفِّ والنشر بين المجموعة الثالثة والرابعة من السورة، مما يجعل الاتصال الدلالي قويًّا بين عناصر المجموعتين ويُحقِّق القصدَ الثانوي من السورة بطريقة غير مألوفة.
- يتبيَّن من خلال تحليل سورة الضُّحى أنَ القصدية لها دورٌ مهم في تحقيق التماسُك النصِّي وذلك من خلال ربط المجموعات النصية بعضِها ببعضٍ بعلاقات دلالية مُتشابكة. ومن خلال الاختيار الأمثل لاستراتيجية الخطاب المُلائمة للقصد.

المصادر والمراجع:

١. أبو غزالة، إلهام وحمد، علي خليل (١٩٩٢)، ***مدخل إلى علم لغة النص***، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي.
٢. ابن هشام: عبد الله بن يوسف، والمبارك، مازن، وحمد الله، محمد (١٩٨٥) ***مُغني اللبيب عن كُتب الأعاريب***، الطبعة السادسة، دمشق، دار الفكر.
٣. ابن عاشور، محمد، (١٩٨٤)، ***التحرير والتنوير***، تونس، الدار التونسية للنشر.
٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، وإبراهيم، محمد عبد السلام، (١٩٩١). ***إعلام الموقعين عن رب العالمين***، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
٥. أوستين، جون، وقينيني عبد القادر، ***نظرية أفعال الكلام العامة***، أفريقيا الشرق.
٦. الأصمعي، عبد الملك بن قريب، وشاكر، أحمد، وهارون، عبد السلام، (١٩٩٣م)، *الأصمعيات*، الطبعة السابعة، مصر، دار المعارف.
٧. البقاعي، إبراهيم بن عمر، والمهدي، عبد الرزاق غالب، (١٩٩٥م)، *نظم الدرر في تناسُب الآيات والسور*، بيروت، دار الكتب العلمية.
٨. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٨٧)، ***الجامع الصحيح***، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشعب.
٩. الجرجاني، عبد القاهر، وشاكر، محمود، (١٩٩٢) ***دلائل الإعجاز***، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة المدني.
١٠. الدِّنيناوي، حيدر جاسم (٢٠١٥) ***القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري(دكتوراه)***، العراق، بغداد، الجامعة المستنصرية، كلية التربية.
١١. دي بوجراند، روبرت، وحسان، تمام، (١٩٩٨)، ***النص والخطاب والإجراء***، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب.
١٢. دلال، وشن، (٢٠١٠)، مجلد (٣) العدد (٦) القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.
١٣. الزمخشري: محمود بن عمر:
أ) ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، (١٤٠٧هـ) الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي.
ب) ***مقامات الزمخشري***، (١٣١٢هـ)، الطبعة الأولى، مصر، المطبعة العباسية.
١٤. الحمَداني، موفق، (٢٠٠٤)، الطبعة الأولى، ***علم نفس اللغة***، عُمان، دار المسيرة.
١٥. الطبري، محمد بن جرير، وشاكر، أحمد (٢٠٠٠)، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة.
١٦. المصاروة، جزاء، (٢٠٠٦) ***أثر النية في الدرس النحوي***، في اللغة العربية وآدابها، المجلد (٢)، العدد (٢)، المجلة الأردنية.
١٧. مرزوقي، وسام وفضيلة، قوتال، (٢٠١٩) مجلد (٨) عدد (١)، ***القصدية وأثرها في توجيه الخطاب الشعري***، مجلة إشكالات في اللغة والأدب.
١٨. النووي، يحيى بن شرف، (١٣٩٢)، ***شرح النووي على صحيح مُسلم***، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
١٩. السُّبكي، أحمد بن علي، وهنداوي، عبد الحميد، (٢٠٠٣م)، *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية.
٢٠. سيرل، جون، والأنصاري، أحمد (٢٠٠٩)، ***القصدية بحث في فلسفة العقل***، بيروت، دار الكتاب العربي.
٢١. السكاكي، يوسف بن أبي بكر، وزرزور، نعيم، (١٩٨٧م)، مفتاح العلوم الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٢. عبد البديع، أشرف (٢٠٠٨)، ***الدرس النحوي النصي في كُتُب إعجاز القرآن الكريم***، القاهرة، مكتبة الآداب.
٢٣. عبد الرحمن، طه (١٩٩٨)، ***اللسان والميزان*** أو ***التكوثر العقلي*** الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
٢٤. فضل، صلاح، (١٩٩٢)، ***بلاغة الخطاب وعلم النص***، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وبيروت، عالم المعرفة.
٢٥. الرازي، محمد بن عمر، ***مفاتيح الغيب = التفسير الكبير***، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

[١] عبد الرحمن، طه ١٠٣
[٢] سيرل، ص ٢١
[٣] مرزوقي، وسام وفضيلة، قوتال ص ١٧٢
[٤] دي بوجراند، روبرت، ص ١٠٣

[٥] عبد البديع، أشرف، ص ١٥٧
[٦] أبو غزالة إلهام، وحمَد، علي خليل، ص ١٥٧
[٧] مرزوقي، وسام، وفضيلة، قوتال ص ١٧٠
[٨] يُنظر: أوستين: الفصل الثاني والثالث والثامن، وسيرل، الفصل السادس ص ٢٠٩، ٢١٠، والشهري ص ١٨٩ - ٢١٠
[٩] ابن القيم، إعلام الموقعين (٣/ ٨١) فصل اعتبار الشرع قصد المُكلَّف دون الصورة
[١٠] عبد الرحمن، طه، ص ١٠٣
[١١] سيرل، ص ٢٠٤
[١٢] أوستين، ص ٣٩
[١٣] سيرل، ص ١١٣
[١٤] عبد الرحمن، طه، ص ٢٢
[١٥] الشهري، عبد الهادي، ص ١٨٣
[١٦] دلال، وشن، ص ٨٨
[١٧] الشهري، ص ٧٨
[١٨] الدِّنيناوي، حيدر جاسم، ص ٦٧
[١٩] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٦٦
[٢٠] يُنظر: عبد الهادي الشهري، ص ٣١
[٢١] يُنظر: دلال، وشن، ص ٢٧
[٢٢] يُنظر: أوستين، ص ١٢١، ١٢٢
[٢٣] يُنظر: سيرل، ص ١١٧- ١٢٤
[٢٤] يُنظر: سيرل، الفصل الخامس، ص١٨١- ١٨٣
[٢٥] يُنظر: الشهري، ص ١٩١، ودلال ص ٩٤
[٢٦] يُنظر: الحمَداني، موفق، ص ١٥٠
[٢٧] المصاروة، جزاء، ص ٢٥
٢٨ يقول البقاعي عن الأتقى: قُصِدَ به أبو بكر رضي الله عنه قصداً أوليا، نظم الدُّرر (٨/ ٤٥٢) أثناء تفسيره لسورة الضحى.
[٢٩] حسان، تمام: من مقدمته لترجمة كتاب: النص والخطاب والإجراء، ص ٤
[٣٠] فضل، صلاح، ص ٢١٤
[٣١] يُنظر: السبكي، عروس الأفراح (١/ ٥٨٤)، ومن الأمثلة على المساواة في تلخيص المفتاح قوله تعالى: "وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ" فاطر: ٤٣، ويُمكن أن يلحق بالمساواة الإيجاز بمفهوم البلاغيين حيث اشترطوا فيه عدم الخلل في المعنَى. كما سيأتي.
[٣٢] سيرل، ص ١٣٦، في النصِّ المُترجم(الحدث)، وكتبتها هنا النصِّ لأنه نوع من الحدث، وهو ألصق بما نحن فيه.
[٣٣] السبكي، عروس الأفراح (١/ ٥٧٦)
[٣٤] البخاري، (٨/ ١٢) حديث رقم: ٦٠١٦
[٣٥] النووي، شرح النووي على مُسلم (٤٠٦/١)، حديث رقم ٣٦٩
[٣٦] يُنظر: ابن عاشور، (٢٩/ ٤٣٠)
[٣٧] الزمخشري: مقامات الزمخشري، ص ٢٩. ميَّزتُ العبارات المُتشابهة في المعنَى بالخطوط المُتشابهة تحتها.
[٣٨] السُّبكي، (٥٧٥/١)
[٣٩] يقول القزويني في توضيح أصناف الكلام: والأقرب أن يقال: المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساو له أو ناقصٍ عنه واف أو زائد عليه. يُنظر: السبكي، عروس الأفراح (١/ ٥٧٨). فاشترط الوفاء بالمعنَى في الإيجاز.
[٤٠] الشهري، المقدمة، ص v
[٤١] البخاري، (٢/ ٦٢)، حديث رقم ١١٢٥، ويُنظر: الطبري، تفسير سورة الضحى (٢٤/ ٤٨٤).
[٤٢] الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٧٦٦، ٤٦٧)
[٤٣] حيث يفترض الرازي أنَّ هناك علاقة بين انقطاع الوحي وموت الرسول، فإذا تحقَّق انقطاع الوحي فهذه علامة دُنوِّ أجلِ الرسول، ولذلك، ولذلك ذكَّره الله بأن الآخرةَ خيرٌ له من الأولَى، ثم قال له: ولسوف يُعطيكَ ربُّك. واستخدم سوف التي تعني مزيدًا من التنفيس والتسويف، مما يُفهم منه أنَّ عطاءَ الله سيستمرُّ معه فترة طويلةً في حياته. يُنظر: الرازي (٣١/ ١٩٣)
[٤٤] ابن عاشور (٣٠/ ٣٩٤)

٤٥ يُلقِّب الرازي سورة الليل بسورة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسورة الضحى بسورة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لاختصاص سورة الليل بالحديث عن فعل أبي بكر الصديق ومكانته عند الله في قوله تعالى: " ولسوفَ يرضى"، ولاختصاص سورة الضحى بالحديث إلى محمد- عليه الصلاة والسلام- وتشريفه وبيان علوِّ مكانته. يُنظر: الرازي (٣١/ ١٩١) تفسير سورة الضحى.

٤٦ ابن عاشور (٣٠/ ٣٩٦)

٤٧ يربط الطاهر بن عاشور بين مُناسبة القسم بـ(الضُّحى والليل) وبين القصد العام للسورة والتي نزلت تكذيبًا لمزاعم المُشركين أنَّ الوحي قد انقطع عنه صلى الله عليه وسلم حين رَأوْه لم يقُم الليل بالقرآن بضع ليالٍ. فالقسَم بالضُّحى فيه إيماءٌ إلى تمثيل نزول الوحي كما أنَّ الضُّحى وقت انبثاق نورِ الشمس. وأنَّ القسَم بالليل فيه إشارة إلى عودة رسول الله إلى القيام بين يدي الله ليلا. التحرير (٣٠/٣٩٥)

٤٨ وهذا على افتراض أنَّ الآيات الثلاثة في المجموعة الثانية كلُّها جواب قسم من حيثُ المعنَى، وتُمثِّل الواو فيها حرف عطف وليس حرف استئناف، وهذا ما ذهب إليه ابنُ الحاجب وتابعَه ابنُ هشام في المُغني ص ٣٠٢، وعند الزمخشري أنَّ الواو للاستئناف، والمبتدأ محذوف في الآيتين الأخيرتين. والتقدير: ولأنت سوف يُعطيك ربُّك. الكشاف (٤/ ٧٦٧)

٤٩ الزمخشري، الكشاف، (٤/ ٧٦٧)، ويقول ابن عاشور عن الآيات الثلاثة: «اسْتِئْنَافٌ مَسُوقٌ مَسَاقَ الدَّلِيلِ عَلَى تَحَقُّقِ الْوَعْدِ» التحرير (٣٠/٣٩٩)

٥٠ ابن عاشور (٣٠/ ٤٠١)

٥١ اللف والنشر: من وجوه المُحسِّنات البلاغية العائدة إلى المعنى، ومعناه كما ذكر السَّكَّاكي: أن تلُفَّ بين شيئين في الذِّكر ثم تتبعُهما كلامًا مشتملا على متعلق بواحد وبآخرَ من غير تعيين- ثقةً بأنَّ السامعَ يرُدُّ كلًّا منهما على ما هو له، كقوله عز وجل: " وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ". القصص: ٧٣، يُنظر: السَّكَّاكي، مفتاح العلوم، ص ٤٢٥، واللف والنشر على ضربين: الأوَّل: أن يكون النشر على ترتيب اللف كما في الآية السابقة، بأن يُجعل الأوَّل للأوَّل والثاني للثاني، ويُسمَّى اللفّ والنشر على السَّنن. والثاني: أن يكون اللفُّ فيه بذكر المُتعدِّدُ على جهة الإجمال، ويُسمَّى المُشوش. كقوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى (١) أى: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى؛ فلفّ لعدم الالتباس؛ للعلم بتضليل كل فريق صاحبه. يُنظر: السُّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٤٩)

٥٢ يُنظر: الزمخشري، الكشاف (٤/ ٧٦٩)، ويُفهم من كلام الزمخشري أنَّ اللف والنشر غيرُ مُرتَّبٍ. يقول الزمخشري: « وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث. واقتد بالله، فتعطف على اليتيم وآوه، فقد ذقت اليتم وهوانه، ورأيت كيف فعل الله بك، وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك، كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر، وحدّث بنعمة الله كلها، ويدخل تحته هدايته الضلال، وتعليمه الشرائع والقرآن، مقتديا بالله في أن هداه من الضلال»

٥٣ ابن عاشور (٣٠/ ٤٠١- ٤٠٣)

٥٤ الرازي (٣١/ ١٩١)

٥٥ يُنظر: كلام عبد الهادي الشهري في الفصل الثالث عن السُّلطة وعناصرها وأثرها في أسلوب الكلام ص ٢٢٠- ٢٥٤

٥٦ ابن عاشور (٣٠/ ٣٩٨)

٥٧ يقول الزمخشري: «فالحذف من قبيل الاختصار اللفظي لظهور المحذوف» الكشاف (٤/٧٦٦)

٥٨ الرازي (٣١/ ١٩٤)

٥٩ البقاعي (٨/ ٤٣٥)

٦٠ يُنظر: الرازي (٣١/ ١٩٣)

٦١ ابن عاشور (٣٠/ ٣٩٧)

٦٢ يُنظر: ابن عاشور (٣٠/ ٣٩٨)

٦٣ الرازي (٣١/ ١٩٤)

٦٤ ابن عاشور (٣٠/ ٤٠١)

٦٥ يُنظر: دلال، وشن، ص ٩٠